معبد الجهني

الاستاذ الدكتور يوسف فان اس

« إن أول من تكلم في القدر : معبد الجهني » . هذا ما يقوله ابن قتيبة في كتابه « المعارف » (١) ، وكثيرون من بعده عبروا عن رأيهم بمثل هذا الإيجاز (٢) . إلا أن أقوالاً جازمة كهذه لا تؤيدها في الغالب إلا الأخبار المتداولة . وغالباً ما يتكرر ذلك الرأي لأنه يلائم أفضل ملاءمة الرغبة الشائعة في البحث عن الأوائل (٣) . فإذا ما أردنا المزيد من الدقة في البحث ، تبينت لنا ضآلة المعلومات التي بين يدينا .

كان اسم معبد نفسه موضع شك . فهو معبد بن خالد ، كما يقول خليفة بن خياط في كتابه « الطبقات » (٤) ، أو معبد بن عبد الله بن

---

(١) ص ٤٨٤ س ٧ (تحقيق عكاشة)

(٢) ابن الأثير « الكامل » ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornperg) / ج ٤ ص ٤٦٥ س ١١ والذي يليه (بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٥) ؛ الذهبي « الميزان » رقم ٨٦٤٦ ؛ ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر قبل الأخير .

(٣) قارن ما كتبه F. Rosenthal في هذا الفن الأدبي في Ei ط ثانية ، باب Aw ā,il

(٤) رقم ١٧٣٢ (ص ٥٠٣ زكار) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عكيم ، كما يقول ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » (١) ، أو معبد ابن عبد الله بن عليم ، كما يقول ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (٢) . وهو أيضاً معبد بن خالد أو معبد بن عبد الله بن عويمر ، كما يقول البخاري في « التاريخ الكبير » (٣) أو السمعاني في « الأنساب » (٤) ، ومعبد بن عبد الله بن عكيم أو معبد بن عبد الله بن عويم ، كما يقول ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٥) . وهكذا يبدو أن اسمه ينحصر في شكلين أساسيين يميز اسم الأب بينهما : في الشكل الأول (معبد بن خالد) لا يذكر اسم الجد ؛ وفي الشكل الثاني (معبد بن عبد الله) يبدو اسم الجد نفسه قابلاً للجدل أيضاً ، إما بسبب ارتباك المؤلفين أنفسهم أو بسبب نقص في الروايات المتأخرة .

ويمكن الفصل بينهما بالتنقيب في بعض المصادر . صحيح أن البخاري (توفي عام ٨٧٠/٢٥٦) قد عجز عن تفضيل شكل على آخر في الفقرة المذكورة أعلاه ، وحار ابن أبي حاتم الرازي (توفي عام ٩٣٠/٣٢٧) في أمره (٦) ، إلا أن هذا الأخير قد ميز القدري تمييزاً واضحاً عن شخص آخر من الصحابة يدعى معبد بن خالد ، توفي سنة ٦٩١/٧٢ عن عمر يربو على الثمانين عاماً (٧) . ولقد انضم إلى هذا الرأي ابن عبد البر (٨) وابن

(١) ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه (هارون)
(٢) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .
(٣) جـ ٤ ، ١ ص ٣٩٩ السطر الأخير والذي يليه
(٤) جـ ٣ ص ٤٤١ س ٥ وما بعده (المعلمي)
(٥) جـ ١٠ ص ٢٢٥ س ٩ والذي يليه
(٦) « الجرح والتعديل » جـ ٤ ، ١ ص ٢٨٠ رقم ١٢٨٢
(٧) المرجع نفسه جـ ٤ ، ١ ص ٢٧٩ رقم ١٢٧٦
(٨) « الاستيعاب » رقم ٢٤٤٢ (ص ١٤٢٦ ، بجاوي)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأثير [١] ، كذلك عبر ابن حجر عن رأي مماثل [٢] . إن هذه الآراء ليست ، والحق يقال ، سوى مجرد استنتاج لباحثين متأخرين . لذا فنحن غير مضطرين للأخذ بها ، إلا أنها تصبح أكيدة إذا ما حاولنا القيام بما قام به مؤرخو القرون الوسطى من تحليلات معتمدين على مراجعهم الأساسية نفسها . فكثيراً ما يردد الواقدي اسم معبد الصحابي . ويقال إنه واحد من الرجال الأربعة الذين حملوا راية جهينة واشتركوا في فتح مكة في عام ٦٣٧/٨ [٣] . أما البخاري فيروي أن مالك بن دينار (توفي عام ١٢٧ / ٧٤٤) الذي كان تلميذا لمعبد القدري في البصرة ، قد اجتمع بمعبد في مكة بعد فتنة ابن الأشعث ، وأن هذا الأخير كان جريحاً لاشتراكه في القتال ضد الحجاج [٤] . وهذه الرواية لا تتفق وما نعرفه عن الصحابي . ففتنة ابن الأشعث قد وقعت ما بين عامي ٨١ و ٨٣ هـ [٥] ، وأما معبد ابن خالد فكان قد توفي قبل ذلك بعشر سنوات .

---

(١) « أسد الغابة » ج ٤ ص ٣٩٠ س ١٥ والذي يليه

(٢) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٣ س ١

(٣) قارن « المغازي » ص ٨٠٠ السطر الأخير ، و ص ٨٢٠ ص ٥ وص ٨٩٦ س ٥ من تحت (Jones) . من المحتمل أن يكون عمره قد استنتج بمقارنة هذا الخبر وتاريخ وفاته . ومن جهة أخرى فقد جاء في نفس هذا المرجع أن كنيته كانت « ابا روعة » وليس ابو رغوة ، كما ورد في طبعة « الجرح والتعديل » . (قارن « المغازي » ص ٥٧١ س ١١) . لمعلومات أخرى عنه قارن المرجع نفسه ص ٩٤٠ س ١١ والذي يليه ، وص ١٠٣٨ س ١٢ وما بعده .

(٤) البخاري « التاريخ الكبير » رقم ١٧٤٥ (ج ٤ ، ١ ص ٣٩٩ س ١٤ وما بعده

(٥) قارن E i ط. ثانية تحت اسم Ibn al-Ash' ath

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يغلب على الظن بالنظر لما تقدم أنه ليست هويته وحدها هي التي لا تتفق مع هوية الصحابي ، وإنما شكل اسمه لا يتفق اطلاقاً مع اسم معبد بن خالد . فلربما وقع تشويش بين الاسمين لأن الرواة لم يحسنوا الفصل بين الشخصين . وإن ما ورد في رواية متأخرة لابن تغري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة » لا يبقي مجالاً للشك . ففي لائحة المتوفين عام ٨٠ ، يذكر المؤرخ اسم سعيد بن عبد الله بن عليم الجهني الذي أمر عبد الملك بصلبه بسبب آرائه القدرية (١) . والشخص المشار اليه هو أخ لمعبد ، ولا نعرف شيئاً عنه غير هذا (٢) . وهكذا تتأكد هويته ، لأن اسم معبد ذكر في السنة نفسها تحت اسم معبد بن عبد الله بن عليم ، فالاسمان متطابقان تماماً ، وكذلك الاشارة إلى سبب الوفاة . وتقول الرواية إنه قتل على يد الحجاج — أو على يد عبد الملك في الشام ، حسب رواية أخرى(٣) الا أن معبداً يظهر مرة أخرى ، بأسمائه نفسها ، ولكن في عام ٨٣ ، فتذكر وفاته ، إنما دون الإشارة إلى أسبابها(٤) . فيكون ابن تغري بردي قد استقى من مصدرين دون أن يلاحظ التناقض بينهما : المرجع الأول الذي يعود إليه بالنسبة إلى عام ٨٠ هو كتاب « تاريخ مصر »

---

(١) قارن « النجوم الزاهرة » (ط. القاهرة) ج ١ ص ٢٠٠ س ١٤ وما يليه.

(٢) إن كتب الطبقات لا تشير إليه . ولم يكن من المحدثين . فسعيد بن عبد الله الجهني الذي ورد ذكره عند ابن حجر (« تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٥٢) لا يمكن أن يكون هو نفس الشخص ، لأن عبد الله بن وهب الذي يقال إنه كان يأخذ عنه قد ولد في عام ١٢٥ / ٧٤٣ . (قارن Sezgin , GAS ج ١ ص ٤٦٦

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٠٦ س ١٦ وما بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لسعيد بن كثير بن عفير (١٤٦ / ٧٦٣ - ٢٢٦/٨٤٠) أحد أكبر معاصري خليفة بن خياط سناً[١] . والمرجع الثاني بالنسبة لعام ٨٣ فمن المرجح أنه الذهبي[٢] . ومن الواضح أن التاريخ الأخير وحده يمكن أن يكون صحيحاً ، إذا ما كانت « الآراء القدرية » تعني بالفعل الاشتراك في فتنة ابن الأشعث . صحيح أن كثيرين قد اعتمدوا على العام ٨٠ كمرجع في رواياتهم[٣] ، ولكن يصحّح تفسير ذلك على أنه استقاء سطحي لمعلومات في آثار تاريخ قديمة ، كتلك التي لخليفة بن خيّاط ، والتي دوّن فيها معبداً في عداد المتوفين ما بين عامي ٨٠ و ٩٠ هـ[٤] .

يتّضح من كل ما تقدم أن كلّا من اسم معبد وتاريخ وفاته قد حقّق بعض التأكيد . ويمكن إضافة بعض القول إلى هذين الأمرين : فكما أسقطنا معبد بن خالد الصحابي من بحثنا ، كذلك يجب إسقاط معبد بن عبد الرحمن الخارجي ، الذي أراد W.M.Watt أن يساويه بمعبد أوّل القدريّين[٥] . إن أب الثائريْن معبد وأخيه قد عاصر النبي ، كما يذكر ابن حزم[٦] . وانطلاقاً من هذا ، نرى أن عقدة الخطأ

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٠٠ س ١٦ . قارن GAS ١/٣٦١ .

(٢) ابن تغري بردي يأتي بدليل على قصة دومة الجندل التي وردت عند الذهبي (انظر الصفحات التالية من هذا المقال) .

(٣) كما جاء مثلاً عند اليافعي « مرآة الجنان » جـ ١ ص ١٢٦ س ١ والذي يليه ، أو ابن العماد « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٨٨ س ٧ والذي يليه استناداً إلى المصدر نفسه .

(٤) قارن خليفة « تاريخ ... » ص ٤٠١ س ١

(٥) قارن W.M.Watt , Free will and Predestinatoin ص ٥٣ والتي تليها .

(٦) قارن « جمهرة أنساب العرب » ص ٤٤٥ س ٤ والذي يليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كتابة اسم الجد بأشكاله الأربعة ، أخذت تتحلّل وتنحصر في شكل واحد هو عكيم . فلم يُذكر بالآثار المتعلّقة بالموضوع الاّ اسم واحد فقط وهو اسم عبد الله بن عكيم(١) . وفي الحديث عن الأب لانجد إشارة مباشرة إلى ابنيه هذين . وهذا أمر يكاد لا يكون متوقّعاً . ومع ذلك فقد كان يُكنى بأبي معبد . كان يقيم في الكوفة ، بينما كان ابناه يقيمان أكثر أيامهما في البصرة والحجاز ، على ما يبدو . أما ابن المرتضى فيعتبر معبداً من أهل المدينة المنورة(٢) . وكان بعض أهل السّنة المتأخرين يدّعون أنهم يعرفون عنه أنه نشر آراءه فيها(٣) .

من المعلوم أن معبداً وأخاه لم يكونا وحدهما أبرز ضحايا الحجّاج بعد فشل الفتنة . فقد لجأ كثيرون مثلهما إلى الحجاز . أمّا مكان إعدامهما فقد كان مدينة دمشق(٤) ، كما رأينا ذلك في تاريخ سعيد بن كثير

---

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ وما بعدها ، ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٦١٠ ، ابن الأثير « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٢٦ س ٨ من تحت ، ابن حجر « الاصابة » رقم ٤٨٢٢ (وبالطبع أيضاً رقم ٦٣٣١ ثم علم) .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٣ س ٩ (Diwald - wilzer) .

(٣) قارن الخبر في كتاب الشريعة لأبي بكر الآجري (تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ص ٢٤٣ س ٣ وما بعده) . ينسبها أنس بن عياض من أهل المدينة (عاش ما بين ١٠٤ / ٧٢٢ و ٢٠٠ / ٨١٥) إلى الفقيه عبد الله بن يزيد بن هرمز من أهل المدينة أيضاً ، الذي كان يعتبر مرجعاً في « الأهواء » (قارن الشيرازي « طبقات الفقهاء » ، تحقيق عباس ، ص ٦٦ س ٨ وما بعده) بالرغم من صفته هذه فإنه من المشكوك فيه جداً أن يكون قد تفوه بما قيل عنه (انظر الحاشية ١٧٥) .

(٤) وأيضاً ابن عساكر ، حسب المصدر نفسه ، في « تاريخ دمشق » ، ترجمة معبد غير المطبوعة . قارن إلى ذلك ابن حجر « تهذيب التهذيب » ص ٢٢٦ س ٥ من تحت وما يليه ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بن عفير . ويدّعي محمّد بن زياد الألهاني من سكان حمص(١) ، أنه ، فيما كان في المسجد ، شاهد معبداً يساق إلى الخليفة(٢) . وهذا يعني أن عبد الملك ربما كان مسؤولاً عن إعدامه . وتأخذ الروايات الدمشقية مجراها معتمدة على هذا الافتراض أيضاً(٣) . ففي الواقع ، كان على عبد الملك ان يتدخّل في الأمر ، إذا صحّ ما قيل من أنه قُبِض على معبد في الحجاز . وليس هناك من مبرّر معقول أن يُنقَل هذا الأخير إلى البصرة

ومع ذلك ، فمسؤولية إعدامه تُلقى ، بصورة عامة ، على عاتق الحجاج(٤) . ولقد قيل إنه عاقب معبداً « بأصناف العذاب »(٥) . ولا ينبغي أن نرى في هذا القول أكثر من تعبير عن حكم متسرّع ، فالحجاج كان قد أخمد فتنة ابن الأشعث . وأما ما جاء في الأخبار أنه عاقبه « بأصناف العذاب » فما ذلك إلا جزء من الروايات العديدة التي تقول إن معبداً قد تحمّل كل أنواع العذاب دون شكوى ، وإنه لم يثر إلا عندما انقضّت عليه أسراب الذباب . فأدرك عند ذلك أن الله قد تخلّى عنه بعد ما نبذته السلطة الدنيوية . ومما لا شك فيه أنه لا ينبغي أن

(١) بالنسبة اليه قارن الذهبي « الميزان » رقم ٧٥٤٤ ، ابن حجر « تهذيب .. » ج ٩ ص ١٧٠

(٢) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق » .

(٣) قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » . إن أصل الخبر يعود إلى يحيى ابن يحيى الغساني (توفي عام ١٣٥ / ٧٥٣ ، انظر الصفحات التالية من هذا المقال س) .

(٤) قارن مثلاً السمعاني « الانساب » ، (حيدر آباد) ج ٣ ص ٤٤١ س ٨ والذي يليه ، الذهبي « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٤ وما بعده .

(٥) الذهبي ، المرجع نفسه حسب خبر في « تاريخ دمشق » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الأمر أكثر من قصّة متأخرة مختلقة . وليس من باب الصدفة أن تُعزى الى صدقة بن يزيد الخرساني الذي كان يقيم في الرملة من أعمال فلسطين والذى ربّما لم يشهد هذا الحدث بنفسه(١) . وتذكر بعض الروايات في مناسبات أخرى أن معبداً مات مصلوباً(٢) . ويُروى الشيء نفسه كما رأينا عن أخيه سعيد(٣) . وفي الواقع ، كثيراً ما يعاقب مثيرو الفتنة بهذه الطريقة استناداً الى سورة المائدة آية٣٣(٤) .

---

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٣٨٨٢ . من المحتمل ألاّ يكون في الأمر سوى تصور سائد ليس إلا . يقال أيضاً إن غيلان الدمشقي قد سئل عند إعدامه بسخرية قاسية إذا كان الذباب الذي يعذبه ليس مقدراً هو أيضاً . والمقصود ، كما تدعي الروايات ، أنه ظل مصراً على موقفه . (قارن ترجمته في « تاريخ دمشق » ، مخطوطة الظاهرية رقم ٣٣٨٠ ج ١٤ ص ٩٣ ب) . يبدو أنه كان للجبريين حجة ثابتة يرجعون إليها دوماً كما في هذه المناسبة ، وهي أن الذباب نفسه ، على الرغم من تفاهته ، لا يحوم إلا بعلم من الله وإرادته . ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه أكد ذلك في مناقشة مع غيلان الدمشقي (قارن « تاريخ دمشق » ، المرجع نفسه ق ١٩٣ س ١٩ ، وكذلك الآجري في كتاب الشريعة ص ٢٣٢ س ٥ وما بعده) . بشأن التحويرات المختلفة عن هذا التصور ، قارن القصة عند الآجري « الشريعة » ص ٢٠٢ س ٣ وما بعده والسطر الأخير من ص ٢١٢ وما بعده .

(٢) كما عند سعيد بن كثير بن عفير ، قارن الذهبي « تاريخ .. » ج ٣ ص ٣٠٦ س ٩ والذي يليه والمقريزي « خطط » ج ٤ ص ١٤١ س ٨ من تحت وما بعده .

(٣) انظر الحاشية ١ ص ٢٨٢ من هذا المقال وما يليها .

(٤) قارن الأمثلة لدى O . Spies , uber die kreuzigung in Islam في Religion und Religionen وهو كتاب تذكاري لـ G . Mensching بون ١٩٦٧ ، ص ١٥٠ وما قبلها وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تردنا أخبار كافية عن دور معبد أثناء الفتنة . ولكن ما من شك في أنه أيّدها تأييداً شديداً – وذلك منذ بدئها حتى نهايتها ، على ما يبدو . لقد كان على اتّصال بالحسن البصري وبالزاهد عطاء بن يسار الهلالي المدني (توفي عام ١٠٣ / ٣ - ٧١٢ أو عام ١٠٤ / ٣ – ٧٢٢ عن ٨٤ سنة) . جاء في إحدى الحكايات المشهورة أن هذين الأخيرين كانا متفقين معه في استيائهما من حكم الامويّين وشدّة الحجّاج[١] . إلا أن الحسن لم يؤيد ، على العكس منه ، قيام فتنه . مسلّحة ضدّ السلطة[٢] وأما ما رواه الذهبي من أن الحسن كان ، في بادىء الأمر ، يعتبر معبداً صاحب بدعة[٣] ، فهو بالتأكيد اختلاق متأخر . لقد أحرز معبد سمعة طيّبة بسبب دينه وتقواه[٤] ، أثناء أقامته في البصرة . ولذا فمن الأكيد أنه أقام فيها مدة طويلة حتى قبل وقوع الفتنة .

في هذا الوقت كان معبد قد تقدم في السن . ومما يروى عنه أنه كان يقيم في دومة الجندل عام ٣٨ / ٦٥٨[٥] بحيث اجتمع المحكّمان

(١) قارن ابن قتيبة « المعارف » ص ٤٤١ س ٧ وما بعده (عكاشة).

(٢) كذا وردت في الأخبار المعروفة . إذا استطعنا تصديق ابن النديم فإنه يكون قد قدم البيعة فعلاً لابن الأشعث . (قارن « الفهرست » ، ترجمة Dodge ص ٣٨٢) .

(٣) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ٥ من تحت وما بعده . وكذلك كتاب « الشريعة » للآجري ص ٢٤٣ س ١٢ وما بعده وص ٢٤١ س ١٢ وما بعده (حسب الفريابي ، توفي عام ٣٠١/٩١٣ في كتابه « القدر » على وجه الاحتمال . قارن GAS ١٦٦/١) .

(٤) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ وما بعده ، انظر كذلك الصفحات التالية من هذا المقال .

(٥) قارن Ei ط . ثانية ج ٢/٦٢٥ ب تحت اسم (Dūmat al - Djandal) و ج ١ ص ٣٨٤ والتي تليها (تحت اسم Ali b . Abi Talib) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للتشاور بعد موقعة صفّين . ولربما أنه كان على علاقة « بالقرّاء » في ذلك الوقت ، فيقال إنهم رجوه أن يخاطب ضمير المحكّمين . فتردّد بادىء الأمر بقبول المهمّة ، لأن قلوب بني قريش « أقفلت بأقفال الحديد » . وعندما بدأ بتنفيذها ، تبيّن له أن أبا موسى الأشعري قد تخلى عن سيده عليّ . أما عمرو بن العاص فقد رفضه بتكبر . ولقد وضع هذه الرواية عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي (توفي عن عمر طويل عام ١٣٦ / ٤ – ٧٥٣)[١] . وليس هنالك من شك في المصدر العراقي لها ، حتى ولو لم نكن على معرفة براويها . إنها ضدّ الأمويّين ولصالح العلويّين ، ففيها ينظر الى القريش على أنهم أشرار . ولم يكن الاشعري أحد المحكمين ، منهم — . أما عمرو بن العاص ، ممثل معاوية ، فيوصف بأنه متكبّر متعال . وأما عليّ فيخونه أقرب المقربين إليه . إن هذه الرواية واردة في كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر . وقد أخذها عنه الذهبي على ما يظهر[٢] . ومن المحتمل أن تكون محرّفة . إلا أن هذا الأمر لا يغيّر شيئاً في بحثنا ، فهي تظهر أن سمعة معبد كانت ما تزال طيّبة في الكوفة — حيث كان قد أقام والده — حتى في النصف الأول من العام الثاني للهجرة . وتُظهر بالإضافة إلى ذلك أن الناس كانوا يقدّرون سنّه تقديراً كبيراً لدرجة أنه كان يحقّ له أن يحضر مشاورات دومة الجندل . وهذه الرواية تشترط علما مسبقاً أن طرفي المشاورات ، عندما التقيا في هذه المرة الأولى[٣] ، كان متفقين على سرّية

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٥٢٣٥

(٢) « تاريخ الإسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ٧ من تحت وما بعده .

(٣) قارن Ei ط . ثانية ، المرجع نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المباحثات[١] . وعليه فينبغي أن تكون ولادة معبد قد حصلت في عام ٢٠/٦٤٠ على أبعد تحديد . ولا صعوبة في أثناء ذلك ، فأبوه كان قد ولد في الجاهلية[٢] . ومما يؤكد ذلك أنه كان يورد عن لسان عثمان (توفي عام ٣٥ / ٦٥٦) حديثاً مباشراً[٣] ، بينما كان يورد عن عمر (توفي عام ١٣ / ٦٣٤) حديثاً موسلاً[٤] ، دون الاتصال به شخصياً . ولربما قد يكون قد تجاوز الستين عند وفاته . فتقدّمه في السن قد يفسر أثره في البصرة . أما الحسن البصري فقد كان أصغر منه سناً بكثير .

ليس من المستبعد أن يكون عبد الملك بن عمير قد عنى بروايته معبداً الآخر ، أي الصحابي ، أو أن يكون هو نفسه قد خلط بين الرجلين . إلا أن هذا الافتراض يبدو ضعيف التصديق لورود شهادات أخرى تشير الى شهرة معبد المبكرة ، والتي لا يمكن إلصاقها بمعبد الصحابي الذي يحمل نفس الاسم . فمن الواضح أن علاقته بمعاوية كانت أوثق مما يظن[٥] . ومما يروى أن عبد الملك استدعاه إلى دمشق ليوفده كمبعوث إلى البلاط البيزنطي ، كما طلب منه في ذلك الوقت أن يقوم بتربية ابنه سعيد[٦] . ومن المرجح أن ذلك جرى بين عامي ٦٩ / ٩ -

(١) قارن نصر بن مزاحم ، في كتاب « وقعة صفين » ص ٦١٩ س ٢ (هارون) .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٧٧ س ١١ والذي يليه .

(٣) انظر ص ٢٩٧ ومابعدها من هذا المقال .

(٤) كما في « تاريخ دمشق » .

(٥) انظر ص ٢٩٣ و ٢٩٨ من هذا المقال .

(٦) قارن « تاريخ دمشق » ، كذلك أوفد عبد الملك المؤرخ الشعبي (توفي عام ١٠٣/٧٢١) في مهمة مماثلة إلى بيزنطية . (قارن GAS ١ / ٢٧٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٨٨ و ٧٣ / ٣ – ٦٩٢ . ففي عام ٦٩ / ٩ – ٦٨٨ كان الخليفة قد عقد معاهدة صلح لعشر سنوات مع ملك الروم ، ولم تلبث أن نُقضت تلك المعاهدة سنة ٧٣ / ٣ – ٦٩٢ (١) . ومن جهة أخرى فان عبد الملك لم يستعد نفوذه في العراق إلا في عام ٧٢ / ٦٩١ بعدما انهارت سيادة الزبيريّين . وهكذا نستطيع أن نضيّق فارق الزمن ونجعله بين عامي ٧٢ / ٦٩١ و ٧٣ / ٣ – ٦٩٢ . وإذا سلّمنا أن هناك رواية ثانية(٢) تقول إن عبد الملك قد طلب من الحجاج أن ينصحه بالمرشّح المناسب لهذا المنصب ، فهذا لا يفترض أن يكون الحجاج قد أصبح والياً على العراق . (الأمر الذي قد يوصلنا الى العام ٧٥ / ٦٩٤) . وهذا بالتأكيد خطأ محتمل ومهما كان الأمر ، فانه قلّما نستطيع أن نفكر هنا بمعبد بن خالد الصحابي . فهو قد توفّي عام ٧٢ / ٦٩١ بعد أن تقدم في السن . وبالاضافة إلى ذلك ، فإننا نجـــد في الرواية الآنفة الذكر إشارة إلى مسألة خلاف فقهية ، ارتبط حلها ، حيثما وجد ، ارتباطاً وثيقاً باسم معبد القدري أيضاً(٣) .

---

(١) راجع Gibb (في EI طـ ثانية تحت اسم Abdal - Malik b . Marwan) ، وذلك بسبب النقد الجديد الذي لم تعترف به بيزنطية إلا أن G . Rotter لفت نظري إلى أنه حسب المستندات التي لدى

J . Walker ' Catalogue of The ArAB — Byzantine and Post - Reform Umaiyad Conis . (London 1956)

فان السبب المذكور أعلاه لم يؤيد بأية أدلة دامغة . (ص ٥٤ والتي تليها بالأرقام الرومانية) .

(٢) في « تاريخ دمشق » أيضاً .

(٣) انظر ص ٢٩٣ من هذا المقال فيما يتعلق بالمشكاتب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونجد شواهد أخرى على اضطلاعه بتربية ابن عبد الملك ، في غير هذا المكان . فها البلاذري[١] والجاحظ[٢] يشيران اليها هما بدورهما بشكل مقتضب . كذلك يذكرها ابن عساكر مرة اخرى مأخوذة عن كتاب « الدولتين » لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زَبْر (توفي عام ٣٢٩ / ٩٤٠) ، وهو أحد القضاة الدمشقيين ، وقد أقام في بغداد زمناً طويلاً[٣] . إلاّ أن هذا المنصب لم يدم طويلاً . فلا بدّ لنا أن نخصّص بعض الوقت لنشاط معبد في البصرة قبل أن تمتدّ اليها فتنة ابن الاشعث . وإذا افترضنا أن معبداً قد كشف عن شخصيته كقدريّ اثناء إقامته في البلاط الأموي ، فان ذلك ما كان ليضرّ بسمعته . حقّاً إن زميله إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر الذي تولّى تربية باقي أبناء الخليفة قد انتقده على آرائه[٤] ، حسبما تقول بعض الروايات . إلا أننا لا نعرف هل حصل ذلك الانتقاد أيام قيامه بوظيفته . وإذا ما افترضنا حصول مثل هذا الانتقاد ، فان الأمر لا يعدو كونه مجرّد تعبير عن رأي

---

(١) « أنساب الأشراف » (قارن Anonyme arabische chronik تحقيق Ahlwardt ص ١٩٦ س ١٢ والذي يليه .

(٢) « البيان والتبيين » ، (هارون) ج ١ ص ٢٥١ س ٥ والذي يليه .

(٣) قارن « تاريخ بغداد » ج ٩ ص ٣٨٦ والتي تليها . وأيضاً F . rosenthal في History of Muslim Historiography ص ٥١٢ . لقد عثر ابن عساكر على كتاب ابن زَبْر ، وكان قد نقحه ابنه أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر (توفي عام ٣٦٩/٩٨٩ . قارن GALS ١/٢٨٠) .

(٤) قارن بدران « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٣ ص ٢٦ س ٩ والذي يليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شخصي . إن المسألة القدرية لم تكن بعد موضوعاً يثير الاهتمام . ولقد اتسمت خلافة عبد الملك آنذاك بمحاولتها تخفيف حدّة التناقضات الدينية قدر الإمكان[١] . ومما يروى أن الخليفة أوعز إلى إسماعيل بن عبيد الله المذكور آنفاً أن يربّي أبناءه تربية خلقية فاضلة[٢] . ومن المفروض أنه كان يتوقع الشيء نفسه من المناضل الثوريّ العتيد . ومما يسترعي الانتباه أن سعيد بن عبد الملك ، ذلك الابن الذي ربّاه معبد ، قد أظهر فيما بعد ميلاً واضحاً الى التقشّف . وكان الوحيد بين أبناء عبد الملك الذي سلك هذا المسلك . ولقد عرف باسم سعيد الخير[٣] .

---

(١) قارن علاقته بالخوارج القعَدة (راجع R. Rubinacci في AIUON ٥/١٩٥٤ ص ٩٩ وما بعدها) واتفاقه مع حسن بن محمد بن الحنفيه العلوي (راجع W. Madelung ، Der Imam el — Qasim B.Ibrahim ص ٢٢٩) الخ .. كما أن الحجاج لم يعلن عداءه للقدريين منذ أول الأمر . فلقد ظل مدة طويلة يكنّ بعض الاحترام للحسن البصري ؛ ووجد عنده معبد ، كما يقال ، القبول والرضى عندما شرح له الدواعي التي أدت به الى اعتناق القدرية (انظر ص ٢٩٨ من هذا المقال) .

(٢) راجع Anonyme Chronik (البلاذري) ص ١٩٦ س ٨ وما بعده .

(٣) قارن « تهذيب تاريخ دمشق » ج ٦ ص ١٥٣ وما بعدها . الزبيري « نسب قريش » ص ١٦٥ س ٥ والذي يليه . يقرأ الخير (وليس الخيّر) قارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٧٥ س ٤ من تحت (البجاوي) . سقط سعيد في القتال ضد العباسيين في عام ١٣٢/٧٥٠ أي بعد وفاة هشام بسبع سنوات . وكان هشام قد أصبح خليفة مع أنه كان أصغر أخوته سناً . أنشأ سعيد نهر سعيد بالقرب من الرقة في أيام الوليد (قارن ياقوت « معجم البلدان » ، انظر تحت اسم نهر سعيد) . ولم تكن تحق له الخلافة لأنه كان ابن جارية ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يبدو أن سمعة معبد كانت ترتكز على سمة علم لا جدل فيها . فقد جاء في كتاب « تاريخ دمشق » أن عبد الملك قد طلب منه رأيه في مسألة خلاف فقهية تتعلق بوضع المُكاتَب(١) . ووردت فتواه فيهـــا للمرة الثانية في مكان آخر ، وذلك في كتاب « شرح معاني الآثار » للطحاوي(٢) . إلا أنها جاءت في صيغة مختلفة : ففي الكتاب المذكور يستشهد معبد بقرار للخليفة عمر يطابق في مضمونه ما أجمـــع عليه في معالجة مسألة الخلاف الفقهية التي عرضها عبد الملك . أما في « تاريخ دمشق » فانه ، على عكس ما تقدم ، يرفض ذلك رفضاً قاطعاً لصالح حكم مختلف صادر عن معاوية . وفي هذا تنعكس لنـــا ، كما في حالات اخرى متعددة ، صورة الخلاف بين المذاهب الفقهية المتأخرة . فليس من السهل في الوقت الحاضر أن نثبت بشكل مقنع كيف أخذت هـــذه الرواية طريقها الينا .

هناك بعض القرائن تدلّ على أن الرواية الأخيرة التي تحتوي الأولى فتدحضها ، قد اطلقت عمداً ضد سابقتها . فهي إذاً قد جاءت بعدها . غير أنه يمكننا القول على عكس ذلك ، أن النصف الثاني من الرواية التي اوردها الطحاوي والتي جاء فيها حكم معاوية ينقض قرار عمر ... نقول ربما يكون هذا النصف من الرواية قد أسقط عمدا . فمن الثابت أن الاستشهاد بمعاوية يعود الى رواية قديمة . إلاّ أنـــه يفترض — على

(١) قارن Das Kitab an - Nakt des Nazzam ص ٦٠ وما يليها .

(٢) ج ٣ ص ١١١ س ٨ من تحت . (تحقيق جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٨/١٣٨٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العكس من كل التصورات المتأخرة — تصوّراً لمعنى السّنة يلائم الزمن. ومن المؤكد أنه لم يمض وقت طويل حتى رأى الناس في هذه الرواية تقديماً لمعاوية على عمر. وإنـــه لذو مغزى أن تنتهي الرواية في كتاب « تاريـــخ دمشق » بملاحظة تقول إن عبد الملك نفسه قد دهش من وجهة نظر معبد في المسألة ومن مقامه أيضاً —. وعلاوة على ذلك فإنه لم تقم أية علاقة مباشرة بينه وبين عمر. ولا غرو، إذا ما راجعنا سيرة حياته، أن يكون قد عرف الشيء الكثير عن معاوية أو أنه لربما كان من المقربين إليه. لقد حفظت هذه الرواية في البصرة، ووردت عند الطحاوي في إسنادٍ قدري (١). ومهما كان الأمر، فإن الخلاف يعطينا دليلاً واضحاً على مـــكانة معبد الحقيقية ونفاذ كلمته في الأمور الفقهيـــة حتى في الأزمنة المتأخرة.

عرف معبد بسعة اطلاعه على الحديث. فقد قال عنه يحيى بن معين (عاش ما بين عامي ٧٧٥/١٥٨ و ٨٤٧/٢٣٣)، أحد الملمّين المشهورين بسير المحدّثين والذي لم يعرف بصداقته للقدريّين، إنه جدير بكل ثقة (٢). ومثل هذا الكلام قاله إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني الدمشقي

---

(١) قتادة (توفي عام ٧٣٥/١١٧ أو ٧٣٦/١١٨) ﴾ سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي (توفي عام ٧٧٦/١٥٦. قارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie (برلين ١٩٧٤)، ص ٦٣

(٢) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ السطر الثاني ما قبل الأخير والذي يليه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(توفي عام ٢٥٩ / ٨٧٣) [١] . أما الحسن البصري (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩) وتلميذه قتادة (توفي عام ١١٧/٧٣٥ أو عام ١١٨/٧٣٦) فكانا يأخذان عنه . كذلك فعل سعيد بن إبراهيم حفيد عبد الرحمن بن عوف ، قاضي المدينة (توفي عام ١٢٥ / ٧٤٣ وربما بعد هذا التاريخ) .

ونذكر بالاضافة إلى ذلك زيد [٢] بن رفيع [٣] ومعاوية بن قرّة [٤] (البصري توفي عام ١١٣/٧٣١) وعبد الله بن فيروز الداناج [٥] ، وعوف ابن أبي جميلة الأعرابي (توفي عام ١٤٦/٧٦٣ أو عام ١٤٧/٧٦٤) [٦] . وأخيراً نذكر النحوي يحيى بن يعمر الليثي [٧] . ويظهر أن يحيى بن دينار قد جمع أحاديثه [٨] . وحسب المصادر التي بين أيدينا ، يمكن أن نعتبر ثلاثة من هؤلاء ، أي الاثنين الأولين وعوفاً الأعرابي ، من القدريّين .

---

(١) قارن GAS ١/١٣٥ . فيما يتعلق بهذا الرأي راجع الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١١ ومابعده (حسب « تاريخ دمشق ») .

(٢) في الطبع خطأ : يزيد .

(٣) قارن ابن أبي حاتم « الجرح والتعديل » ج ١ ، ٢ ص ٥٦٣ . ابن حجر « لسان الميزان » ج ٢ ص ٥٠٦ والتي تليها .

(٤) قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢١٦ ومايليها .

(٥) قارن ابن حجر ، المرجع نفسه ج ٥ ص ٣٥٩

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٦٥٣٠ . بخصوص أسماء الرواية قارن ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٥ س ١٣ ومابعده .

(٧) انظر الصفحات التالية من هذا المقال .

(٨) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٤ س ١١ ومابعده . ابن المرتضى « طبقات المعتزلة » ص ١٣٧ س ٣ والذي يليه (Diwald - Wilzer)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولربما أيضاً سعد بن إبراهيم [١] ويحيى بن يعمر . ففي هذا الجيل وبين معاصري عمرو بن عبيد كان تفكير الناس بقاطعة القدرية أضعف بكثير مما يعرف عن يحيى بن معين . حتى ان سليمان بن طرخان التيمي ، أحد أصحاب الحديث المعروفين بخصومتهم [٢] لعمرو بن عبيد ، روى عن معبد بواسطة رجل مجهول [٣] .

إلا أن الحال تبدلت فيما بعد . ومن الأكيد أن أحاديث كثيرة قد اضمحلت وتلاشت تحت تأثير التكفير . فإننا لا نجد عند أحد من رواة معبد الذين عرفناهم إشارة إلى هذه العلاقة في ترجمته الخاصة . ومع ذلك فما زال بإمكاننا أن نقع على بعض منها الآن أيضاً . فهناك حديث مصدره مجموعة مالك بن دينار ، ينسبه معبد إلى عثمان بن عفان ويذكر فيه الحمّى على أنها حظ المؤمنين من النار ، أي كعقاب زمني لهم على ذنوبهم [٤] ويظهر هذا الموضوع أيضاً في مكان آخر [٥] . لكن صحيفة عثمان في مسند ابن حنبل [٦] لا تشتمل على هذا الحديث . كما لا نقع على أثر له في المجموعات

---

(١) قارن تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٤٦٥ س ٩ والذي يليه .

(٢) قارن دراستي Traditionistische Polemik gegen Amr b. Ubaid (بيروت ١٩٦٧) ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) قارن « السنن » للبيهقي جـ ١٠ ص ٣٣٢ س ٩ والذي يليه . (راجع Raddatz في Welt des Islams ١٣/١٩٧١ ، ص ٥٥) .

(٤) قارن ترجمة معبد في « تاريخ دمشق »

(٥) قارن Concordance جـ ١ ص ٥٠٧ ب إلى ٨ ١ .

(٦) مسند ابن حنبل جـ ١ ص ٥٧ ومابعدها تحقيق أحمد محمد شاكر وجـ ١ ص ٣٢٩ وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الست" المعترف بها (١) ويروي مالك بن دينار ، بالاضافة إلى ذلك ،خبرين من الاسرائيليات يدّعي معبد أنه أخذهما عن كعب الأحبار (٢) بواسطة شخص يدعى أبو العوّام ، كان سادناً لبيت المقدس . ويتذكر سعد بن إبراهيم حديثاً نقله معبد عن معاوية (٣) . ويسهب معبد في مطلع إحدى الروايات مشدّداً على أن الخليفة نادراً ما كان يرغب في نقل الأحاديث . وفي ذلك تلميح ضمني إلى منصبه الجدير بالثقة (٤) . ونجد عند زيد بن رفيع فتوى تتعلق بمسألة من مسائل الطهارة (٥) . وهناك حديث آخر عن الطهارة نقله عوف الأعرابي عن معبد ، وقد جاء على لسان حمران بن أبان ، وكان معبد ينسبه إلى مولاه عثمان (٦) : ومفاد هذا الحديث أن من يقوم

---

(١) إنما يمكن مقارنة هذه الرواية برواية مماثلة « في الجامع الصغير » للسيوطي ج ١ ص ١٥٢ س ١١ تحت اسم : الحمّى .

(٢) قارن ابن قدامة « كتاب التـوّابين » ص ٧٦ س ١٠ وما بعده (Makdisi)

(٣) قارن ابن ماجه « الأدب » ٣٦ رقم ٣٧٤٣ (عبد الباقي) .

(٤) قارن مسند ابن حنبل ، الطبعة الأولى ج ٤ ص ٩٢ س ٧ من تحت وما بعده وص ٩٣ س ١٧ وما بعده .

(٥) قارن « تفسير » الطبري (تحقيق محمد وأحمد محمد شاكر) ج ٤ ص ٥٠٥ السطر قبل الأخير ومايليه ، رقم ٤٦٩٦

(٦) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٢٩١ ، ابن حجر « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٢٤ والتي تليها . لقد كان مؤذن عثمان . (قارن الذهبي « التاريخ » ج ٣ ص ٢٤٦ س ١ والذي يليه)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالوضوء على الوجه الصحيح ثم يصلي تغفر له جميع ذنوبه (١) . ولم يكن معبد الشخص الوحيد الذي أورد هذا الحديث . فلقد تداوله الناس بأشكال متعددة ، إذ كانوا يسندونه في أكثر الأحيان إلى حمران (٢) . وأحياناً إلى غيره من الثقات (٣) . ومما يسترعي اهتمامنا ، أن معبداً قد استشهد بعثمان للمرة الثانية ، مع أن هذا الأخير لم يكن مرجعاً معروفاً في شؤون الحديث . ففي هذا المجال تتجلى لنا مكانته المرموقة كما تجلت في أخذ الأحاديث عن معاوية ، بالاضافة إلى التزامه السياسي على ما يبدو . ويقال إنه علّل للحجاج اعتناقه للقدرية بحجة أن فساق أهل العراق ، كانوا

---

(١) قارن « مسند ابن حنبل » الطبعة الأولى جـ ١ ص ٦١ س ٣ ومابعده. تحقيق أحمد ومحمد شاكر و جـ ١ ص ٣٤٥

(٢) قارن في مسند عثمان عند ابن حنبل الفقرات التالية : جـ ١ ص ٥٧ س ١٣ ومابعده /جـ ١ ص ٣٣١ رقم ٤٠٠ ، جـ ١ ص ٥٧ س ٢٩ ومابعده/جـ ١ ص ٣٣٣ رقم ٤٠٦ ،جـ١ ص ٥٨ س ٢٦ ومابعده/جـ١ص٢٣٧ رقم٤١٥ ،جـ١ص٥٩ س١١ ومابعده/ جـ ١ص٣٣٩ رقم ٤١٨ وما بعده ، جـ١ ص ٥٩ س ٢٦ وما بعده/جـ ١ ص ٣٤١ رقم ٤٢١ ، جـ ١ ص ٦٠ س ٢٧ وما بعده/جـ ١ ص ٣٤٤ رقم ٤٢٨ ، جـ ١ ص ٦٦ س ٤ وما بعده/جـ ١ ص ٣٦٥ رقم ٤٧٣ ، جـ ١ ص ٦٦ س ١٣ ومابعده /جـ١ ص ٣٦٦ رقم ٤٧٦ ، جـ ١ ص ٦٦ س ٢٠ ومابعده/جـ ١ ص ٣٦٧ رقم ٤٧٨ ، جـ ١ ص ٧٦ س ١٢ وما بعده/ جـ ١ ص ٣٧٠ رقم ٤٨٣ والذي يليه ، جـ ١ ص ٦٨ س٢ ومابعده/ جـ١ ص ٣٧٢ رقم ٤٨٩ ، جـ ١ ص ٦٨ س ٢٣ ومابعده/جـ١ ص ٣٧٤ رقم ٤٩٣ ، جـ ١ ص ٧١ س ٢٢ ومابعده/جـ ١ ص ٣٨٣ رقم ٥١٦

(٣) قارن على سبيل المثال المرجع نفسه جـ ١ ص ٧١ س٣٣ ومابعده وجـ١ص٣٨٥ رقم ٥١٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يزعمون أن مقتل عثمان كان أمراً مقدّراً (١) . وكذلك كان أبوه يُكنّ لعثمان محبة كبرى (٢) . وهذا أمر يسترعي الانتباه في الكوفة .

أما في البصرة حيث كان ينزل معبد فإن المدينة كانت تعتبر على كل حال عثمانية (٣) .

ويذكر ابن عساكر وابن الأثير (٤) وابن تغري بردي (٥) عن معبد أنه أورد حديثاً يعرف بحديث الدّباغ . والمقصود هو المبدأ الفقهي القائل إن الجلود تصبح طاهرة إذا تمّ دباغها حسب الأصول الشرعية ، حتى ولو كانت لحيوانات ميتة لم تذبح حسب تلك الأصول (دباغها طهورها) (٦) . إننا لا نقع ، والحق يقال ، في أي مكان من المجموعات المعروفة القديمة على هذا الحديث مرتبطاً باسم معبد . إلا أنه يظهر أحياناً في إسناد ذي طابع بصري محض : فعن سلمة بن محبّق (٧) روى جَوْن

---

(١) قارن البلاذري « انساب الأشراف » ، مخطوطة استنبول ، رئيس الكتاب رقم ٥٣٨ ج ٢ ص ٢٥٦ س ٢٢ حسب المدائني .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٦ ص ٨٧ س ٩ والذي يليه .

(٣) قارن ابن قتيبة « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٠٤ س ١٣ وما بعده ، حسب ملاحظة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٤) قارن «الكامل» ج ٤ ص ٣٦٧ س ١١ (Tornberg) وج ٤ ص ٤٥٦ س ١١ (طبعة بيروت) .

(٥) « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ٢٠١ س ٩ والذي يليه .

(٦) قارن Concordance ج ٢ ص ١١٠ ، وكذلك Juynboll, Handbuch Des Isl . Gesetzes (Leiden - Leipzig 1910) ص ١٧٣ .

(٧) قارن ابن عبد البر « الاستيعاب » رقم ١٠٢٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن قتادة (١) ، وعن هذا الأخير الحسن البصري ، وعن الحسن قتادة ابن دعامة (٢) . إن جون بن قتادة ، ثقة الحسن البصري ، لم يكن معروفاً لدى الاجيال المتأخرة ؛ ولم يرد اسمه إلا مع هذا الحديث الوحيد (٣). فليس من المستبعد أن يكون قد أحيلّ محل معبد في وقت لاحق ، أو أن يكون قد دُفِعَ به إلى الصدارة على الأقل عندما أخذت سمعة معبد المحيّرة تسيء حتى إلى أحاديثه . إلا أن رواية ابن عساكر وابن تغري بردي توضح لنا على الأقل أن الحديث قد تميز بذكر اسم معبد في المصادر التي استقيا منها (٤) . من الواضح أن هذا الحديث لم يحظَ بتصديق كاف في تلك الأيام (٥) . إن محتواه يتلاءم والروايات الأخرى التي توصلنا إلى العثور عليها .

---

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٩٢

(٢) قارن مسند ابن حنبل جـ ٣ ص ٤٧٦ س ١٢ ومابعده ، وجـ ٥ ص ٦ س ١٧ وما بعده ، وجـ ٥ ص ٧ س ٢ وما بعده ، « السنن » للنسائي ، باب الفرع ص ٢٢ » ، « السنن » لأبي داود ، باب اللباس ٣٨ رقم ٦

(٣) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٩٢

(٤) يظهر أن ابن تغري بردي أخذ عن سعيد بن كثير بن عفير (راجع الصفحات التالية من هذا المقال) .

(٥) تذكره المراجع في صيغتين أخريين تختلفان عن بعضهما بعض الاختلاف: أولاً بدون « توطئة القصة » المميزة للصيغة البصرية وحسب إسناد كوفي : عائشة ﴿ أسود (بن يزيد النخعي توفي عام ٦٩٣/٧٤ ، قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١ ص ٣٤٢ وما يليها) ﴾ عمارة بن عمير الكوفي (توفي عام ٧١٧/٩٨ ؟ قارن « تهذيب التهذيب » جـ ٧ ص ٤٢١ ومايليها) وإبراهيم (بن يزيد النخعي الكوفي توفي عام ٧١٥/٩٦ قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١ ص ١٧٧ ومابعدها) ﴾ الأعمش (سليمان =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد كان معبد فقيهاً بالدرجة الأولى . وكان معروفاً في أيام حياته وفي

= ابن مهران الأسدي توفي عام ٧٦٥/١٤٧ أو عام ٧٦٥/١٤٨ ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٢٢ وما يليها) . ثانياً الحديث في « توطئة قصة » مختلفة يجري في المغرب وباسناد مصري : ابن عباس) عبد الرحمن بن وعلة المصري (قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٢٩٣ وما يليها)) أبو الخير اليزني (مرثد بن عبد الله المصري ، مفتي مصر في أيامه ، قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٢)) يزيد بن أبي حبيب المصري (توفي عام ٧٤٦/١٣٨ ، قارن تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣١٨ وما يليها . بالنسبة للصيغة الأولى راجع النسائي ، باب الفرع ٢٣ — ٢٦ ، وابن حنبل ج ٦ ص ١٥٤ السطر قبل الأخير ومابعده . وبالنسبة للصيغة الثانية راجع « صحيح مسلم » ، باب الحيض ص ١٠٦ ومايليها وكذلك أيضاً النسائي ، الفرع ٢٠ وأبي داود اللباس ٣٨ رقم ٤ حيث يعرج الإسناد عن عبد الرحمن بن وعلة إلى المدينة إلى زيد بن أسلم العدوي المدني (توفي عام ٧٥٤/١٣٦ قارن تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥ وما بعدها) . ولايمكن البت بالعهد الذي تعود إليه هذه الصيغ دون تحقيق شامل ودقيق في مجمل المسألة الفقهية . وكل ما يجب الركون إليه في الوقت الحاضر هو أن ابن حنبل يعتبر الراوي الرئيسي في الصيغة المصرية المدنية المشتركة عبد الرحمن بن وعلة ضعيفاً وذلك على الأخص فيما يتعلق بموضوع حديث الدباغ (قارن « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٦٩٤ س ٤ وما يليه) بالاضافة إلى ذلك هناك رواية أخرى عن الموضوع (النسائي « الفرع » ٢١) تقول إن ابن وعلة سأل ابن العباس إذا كان الحل الذي أتى به هو رأي شخصي أم إذا كان بالفعل قولاً من أقوال الرسول . وهذا معناه أن الناس ظلوا بعض الوقت يشكون في الركون إلى هذا القول . ويظهر أن الرجوع إلى مكانة الرسول قد زكّى في أكثر من مكان إحدى الحكم الفقهية الدامغة — قارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie بشأن تبدل التوطئة القصصية في الأحاديث ص ٣٩ ومايليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجيل الذي أتى بعده ، ولم يتلاش اسمه من ذاكرة الأجيال المتأخرة إلا شيئاً فشيئاً . فبقدر ما كانت القدريّة تضطهد في البصرة ، بقدر ذلك كان يتحوّل الناس عنه . لكن هذا التحول لم يبدأ فعلاً إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ويمكن الآن التحقق من هذا التاريخ [١] بالاستناد إلى السؤال التالي : متى أعلن معبد جداً للقدرية ؟

* * *

إن تحول الأفكار في هذا الاتجاه لم يسر على خط واحد : باعتبار الحال ، ليس هناك أدنى شك في أنه لم يكن هو المتكلم باسم القدرية البصرية وإنما كان الحسن البصري . وتعتبر الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى الخليفة عبد الملك الوثيقة الأولى لهذه الحركة . ففيها شرح واضح لكل تعاليم القدرية وحججها [٢] . ولقد كانت المعتزلة تنظر إلى هذه الرسالة نفس النظرة : فابن المرتضى يستشهد بفقرات مسهبة منها [٣] ، بينما تكتم أمرها روايات أهل السنة . ويذكر الشريف المرتضى الحسن البصري في المرتبة الأولى عندما يتكلم في رسالته « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » عن التطور التاريخي لمذهب الاختيار . فيقول عنه إنه قد تصدّى لأولئك الذين يريدون إلصاق ذنوبهم بالله ، وان كثيرين آخرين — يذكرهم بأسمائهم — يوافقونه

(١) قارن دراستي Traditionistische polemik ص ٣٩ وما بعدها وتجد بعض المواد الأخرى في بحثي Zwischen Hadit und Theolgie ص ٦١ وما يليها

(٢) قارن لذلك ما كتبه M.Schwarz في Oriens ٢٠/١٩٦٧ ص ١٥ وما بعدها

(٣) « طبقات المعتزلة » ص ١٩ س ٣ وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على ذلك [١] . وإذا ما أردنا فعلاً أن نتقصى الماضي ، فإننا لا نقع مطلقاً على اسم معبد ، وإنما على أبي الاسود الدؤلي (توفي عام ٦٨٨/٦٩) وعلى كل حال الذي يعتبره ابن المرتضى « أول من تكلم بالقدر » [٢] أما الجهة الأخرى فقد نسبت إلى أبي الأسود « رسالة في ذم القدرية » وذلك قصد كسبه إليها [٣] .

إن هذا الأمر يطلعنا على ما كان يقصد من ذلك . لقد كان البعض يحاول أن يكسب لوجهة نظره شخصيات مرموقة من الأوائل وأن يجعلها تتخلى عن معتقدها الخاطىء . فلم يتقدم معبد إلى مركز الصدارة إلا عندما أراد الناس ألا يسمعوا بعد الآن أن الحسن البصري كان قدرياً — وهذا ما يفسر أيضاً ظهور معبد في روايات أهل السنة فقط — وهنا تبرز بعض الاقاويل السائرة كتلك التي يحذر فيها الحسن من معبد [٤] أو كتلك التي يؤكد فيها أصحابها على الاقل أن الحسن شعر بنفور تجاه معبد في أول الامر

---

(١) تحقيق علي الخاقاني النجفي ، النجف ١٩٣٥ ص ٢٥ ، السطر الأخير وما بعده = رسائل الشريف المرتضى تحقيق احمد الحسيني (بغداد ١٣٨٦/١٩٦٧) ص ٥٤ السطر الثاني قبل الأخير ومابعده .

(٢) « طبقات المعتزلة » ص ١٣٤ س ٤ وما يليه .

(٣) قارن عبد القادر البغدادي « أصول الدين » ص ٣١٦ س ١٢ وقارن بحثي Zwischen Hadit und Theologie للتحقق من أصالتها ص ٥٤ وما يليها .

(٤) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٦٦ س ٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن هذا الأخير لم يلبث أن استماله إليه (١) . وجاء عن مالك بن دينار قوله إنه عندما التقى به معبد في مكة لم يخف هذا الأخير إعجابه بالحسن البصري في ذلك الوقت — كان الحسن يصغره بكثير — وأسف لأنه لم يتبع نصيحته . فلقد نصحه الحسن أن يبتعد عن فتنة ابن الأشعث (٢) كما فعل هو نفسه ، على العكس من معبد . ومن هنا نستشف السبب الذي دفع بمعبد إلى مركز الصدارة : فلقد رأى الناس في مصيره صورة واضحة للعواقب الوخيمة التي تصيب كل من ناضل في سبيل القدرية . لذا فلم يقع الاختيار عليه نظراً لتقدمه في السن . إن هذا الأمر لم يلعب إلا دوراً ثانوياً فقط . كذلك لم يكن مذهبه سبباً في اختياره . فهو لم يخلف عنه إلا صورة غير واضحة المعالم . فلو رأت الروايات أهميته ، لكانت احتفظت به . وكل ما استقر عنه في ذاكرة الأجيال كان نشاطه السياسي . إن التحول عن الحسن إلى معبد ، هذا التحول الذي يظهر فيه معبد بمظهر ساعي على الدوام ، إنما له مغزى مهدىء أو بالاحرى مغزى معاد للثورة .

---

(١) قارن الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ السطر الثاني قبل الأخير ومايليه (حسب تاريخ دمشق) : تلطف له معبد .

(٢) قارن « تاريخ دمشق » و « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٩ ومابعده : روى جعفر بن سليمان الضبعي (شيعي توفي عام ١٧٨/٧٩٤ قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٥٠٥) هذا الحديث عن موسى بن إسماعيل التبوذكي (توفي عام ٢٢٣/٨٣٨) وهو الذي نشر اقوالاً ضد عمرو بن عبيد) قارن دراستي Traditionistische Polemik ص ١٨ ومايليها وص ٢١)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن اتجاهاً مهدّئاً كهذا ليس له معنى إلا إذا كانت هناك امكانيات واقعية للالتزام النضالي أو ألاّ يكون قد مضى عليها زمن طويل . وهذا يوصلنا إلى عهد يزيد بن الوليد (١٢٦ / ٧٤٤) حيث تمتعت القدرية بالشام بنفوذ سياسي لبعض الوقت [١] ، امتد إلى سنوات انتقال الحكم إلى العباسيين . فالظاهر أن البصرة لم تستجب آنذاك لمطامح يزيد[٢]. إلا أن هذا الأمر يستوجب مزيداً من الأدلة . ويمكننا ذلك بمقارنة الاسانيد التي بموجبها تثبت الرواية القائلة أن معبداً كان أول القدريين . إن أحد هذه الأسانيد ، وقد حفظه ابن حجر [٣] ، يسوق حديثاً عن إبراهيم ابن هشام الغساني الذي توفي إما في عام ٢٣٨ / ٣ - ٨٥٢ أو في عام ٢٤٥ / ٨٥٩ [٤] ، والذي لا يحظى بتقدير كبير لدى خبراء « الجرح والتعديل » بسبب أساليبه غير الرصينة في نقل الروايات .. هذا الحديث رواه الغساني عن أبيه ورواه الأب عن الجد يحيى بن يحيى الغساني . فهذا الأخير كان قد أشار إلى مقتل معبد على يد عبد الملك [٥] - في مناسبة مماثلة ؟ - وقد اشتهر الغساني في دمشق كفقيه رفيع الشأن ، وكانت له علاقة وثيقة بالعائلة المرموقة التي حكمت ما قبل الاسلام . وتوفي

(١) قارن مقالتي في Stud Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) قارن المرجع نفسه ص ٢٨٣

(٣) « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٥ من تحت ومايليه .

(٤) قارن الذهبي « الميزان » رقم ٢٤٤ ، ابن حجر « لسان الميزان » رقم ٣٧٢

(٥) انظر الصفحة السابقة من هذا المقال « ص ٢٨٥ » والملاحظة ٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في عام ١٣٥ / ٧٥٣ [١] . ولقد نصّبه عمر بن عبد العزيز قاضياً على الموصل وكان أبوه مفوضاً للشرطة في عهد مروان [٢] . ويحملنا مركزه الحساس على الظن أنه كان له ضلع في الاضطرابات التي وقعت في عهد يزيد بن الوليد . وإذا اعتبرنا أنه ورث عن أبيه ميلاً إلى المروانيين ، فلا بد إذاً من أن يقف من الخليفة القدري موقفاً معادياً لا سيما وأن مروان قد وجه انتقاداً إلى الخليفة المذكور .

يقال إن الأوزاعي قد عبّر هو أيضاً عن رأي مماثل في هذا المجال . لقد عاصر الغساني وكان أصغر منه سناً وتوفي عام ١٥٧/٧٧٤ . فهو يطلعنا بشكل أدق على ما كان عليه موقفه من التطور السياسي في ذلك العهد . لقد تنصّل من أولئك الذين كانوا يؤيدون يزيد بن الوليد [٣] . ويتجلى موقفه المؤيد للأمويين في أنه عاتب أول الحكام العباسيين في الشام ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، على المجزرة التي حصلت بعد انهزام السلالة الأموية ؛ فاستنزل عليه بذلك سخطه وغضبه [٤] . أما نظرته إلى نشأة القدرية فأكثر تعقيداً مما سواها . فلقد أنشأ لها شجرة

---

(١) قارن خليفة بن خياط « الطبقات » رقم ٢٩٨٩ ، ابن سعد « الطبقات » جـ ٧ ، ٢ ص ١٦٩ س ١٤ وما يليه ، الذهبي « الميزان » رقم ٩٦٤٩

(٢) قارن « تهذيب التهذيب » جـ ١١ ص ٢٩٩

(٣) قارن Stud.Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٧٤

(٤) قارن يعقوب بن شيبة « مسند عمر » (بيروت ١٩٦٩) ص ٥٨ س ٢ وما بعده ، الذهبي « تذكرة الحفّاظ ص ١٨٠ س ٤ من تحت وما بعده Barthold في Der Islam ١٩٢٩/١٨ ص ٢٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تامة . فهو يروي أن شخصاً نصرانياً يدعى سُوسن (أو ستوسن في الصيغة العربية) وقد اعتنق الاسلام وحمل معه إلى الدين الجديد نظراته في حرية الإرادة . إلا أنه ما لبث أن تخلّى عن الإسلام فيما بعد . ولقد أخذ عنه معبد هذه النظرات ، وأخذها غيلان الدمشقي بدوره عن معبد(١). فهذا الأخير لم يكن إذاً إلا وسيطاً . أما التهجمات فكانت موجهة مباشرة ضد غيلان الدمشقي الذي كان يتمتع بنصيب كبير من الأهمية بالنسبة لبلاد الشام وللاضطرابات السياسية التي جرت هناك . إن حزب يزيد بن الوليد كان يدعى الغيلانية (٢) . أما غيلان فكان قبطياً ، وككل الأقباط نصراني الأصل أيضاً . لذا فقد حظي سوسن النصراني ، الذي انكشفت صورته السلبية بسبب تقلباته وردّته ، بأهمية مَثَلية .

وإذا أردنا أن نثق بصحة هذه الروايات الشامية ، وعلى الأخص بالأخيرة منها ، فلا بد من أن تكون لها أصول في المصادر البصرية . وبالفعل فإننا نقع هناك على روايات مماثلة . فمنذ أزمان بعيدة استرعت انتباه المؤرخين ملاحظتان تتعلقان بالموضوع ، وردت إحداهما عن ابن سعد والأخرى عند المقريزي (٣) . جاء في ملاحظة ابن سعد أن عبد الله بن

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٢٢٦ س ٢ وما بعده ، الذهبي « تاريخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٠٥ س ١٤ وما بعده ، ربما أخذ الاثنان عن ابن عساكر . هناك رواية اقدم للآجري « الشريعة » ص ٢٤٣ س ١ وما بعده . (عن الفريابي) توفي عام ٣٠١/٩١٣ في كتابه « القدر » حسب تقديرنا ، قارن GAS ١٦٦/١

(٢) قارن Stad Isl ١٩٧٠/٣١ ص ٢٨١

(٣) راجع مثلاً A. S. Tritton, Muslim Theology ص ١٨ ومايليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عون ، تلميذ الحسن البصري والذي توفي عام ١٥١ /٧٦٨ ، ما زال يتذكر ذلك الزمن إذ كان معبد وسنهويه زوج أم موسى وحدهما يتناقشان في موضوع القدر (١) . أما المقريزي فيجمع كذلك بين معبد ومولى من أصل فارسي ، إلا أنه لا يذكر أم موسى ، والمولى لا يدعى سنهويه ، وإنما أبا يونس سنسويه الاسواري ، نسبة إلى « الأساورة » - وهم فرقة مختارة من الخيالة الفرس في عهد الساسانيين ، وكانوا قد تحالفوا مع بني تميم في البصرة بعد مجيء الاسلام (٢) .

هاتان الروايتان كانتا إلى الآن موجودتين جنباً إلى جنب في آثار متشتتة . وكانتا على الرغم من تشابههما مختلفتين فيما بينهما . وكان من العسير إيجاد قاعدة مشتركة لهما . إلا أننا أصبحنا نملك الآن مواد أكثر للبحث . من المحتمل أن يكون المقريزي يستقي أخباره من الفهرست . ففي هذا المؤلف أورد أبو القاسم البلخي الخبر الذي أشرنا إليه سابقاً . ولربما أخذ عن كتابه « مقالات الاسلاميين » (٣) . ففي أيام البلخي ، أي في نهاية القرن الثالث ، كان أتباع المعتزلة أنفسهم لا يجدون ما يعترضون عليه في هذا الخبر ، لقد كان مصدره أوساط البصرة شأن الملاحظة التي وردت

(١) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ٢٧ س ١ وما بعده .

(٢) قارن « الخطط للمقريزي (القاهرة ٢٦ - ١٣٢٤) ج ٤ ص ١٨١ س ٦ من تحت وما يليه . فيما يتعلق بالاساورة راجع Le Milieu Basrien Ch. pellat ص ٣٥ اما كيف تقرأ نسبة اسواري واشتقاقها من اساورة فقارن الذهبي « المشتبه » ص ٢٣ س ٤ (البجاوي) .

(٣) قارن ابن النديم « الفهرست » ، تحقيق رضا تجدد (طهران ١٣٩٣/ ١٩٧٣) ص ٢٠١ السطر الأول قبل الأخير وما يليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عند ابن سعد . ويصبح ذلك واضحاً إذا ما استشهدنا بأربع روايات أخرى لابن عساكر ، تطابق كلها نقطة البحث ذات الطابع المميز التي نحن بصددها ، وذلك بالرغم من التباعد الشديد فيما بينها في الوقت الحاضر . فهذه الروايات لا تتحدث عن أم موسى وإنما عن الأساورة ، وهي إلى هذا تدرج كنية أبي يونس . ويسند ابن عساكر هذه الروايات إلى ابن عون تماماً كما يفعل ابن سعد . ومن ناحية أخرى فإن كل راوية يليهم لا بد أن يكون بصرياً . فعند ابن سعد نجد بكار بن محمد بن عبد الله السيريني (توفي عام ٢١٤ /٨٢٩) ومن الظاهر أنه حفيد أحد أحفاد محمد ابن سيرين ، الزاهد البصري المتقدم (توفي عام ١١٠ / ٧٢٩) [١] . كما أننا نجد حميد بن الأسود [٢] وحماد بن زيد (توفي عام ١٧٩ / ٧٩٥) [٣] وعبد الله بن مسلم [٤] عند ابن عساكر [٥] . ويدون ابن عساكر بالاضافة إلى ذلك أن يونس بن عبيد العبدي (توفي عام ١٣٩ / ٧٥٦ أو عام ١٤٠ / ٧٥٧) ، وهو أحد معاصري ابن عون ، قد قال قولاً مشابهاً . فهذا الأخير يضيف إلى الشريين الأخيرين شخصاً

(١) قارن الذهبي « الميزان » رقم ١٢٦٣

(٢) قارن « الميزان » رقم ٢٣١٩

(٣) قارن الذهبي « تذكرة الحفاظ » ص ٢٢٨ وما يليها رقم ٢١٣

(٤) قارن « الميزان » رقم ٤٦٠٧

(٥) عند الآجري (= الشريعة ص ٢٤٣ س ٩ وما بعده) يضاف إلى ذلك تلميذه معاذ بن معاذ البصري (عاش بين عامي ١١٩/٧٣٧ و ١٩٦/٨١٢ ، قارن دراسي Trad . Polemik ص ١٦ و ٤٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً لا يذكر اسمه ويقول عنه : « ملعون من بني عوانة » . وفي كتاب « الشريعة » للآجري يروي مرحوم بن عبد العزيز العطار البصري (عاش بين عامي ١١٧ / ٧٣٥ - ١٨٧ / ٨٠٣) (١) عن أبيه عبد العزيز بن مهران البصري وعن عمه عبد الحميد بن مهران (٢) ، خبراً مماثلاً بصدد ذكر الأساورة (٣) .

إن الأمر يبدو وكأن هؤلاء الرواة قد تذكروا قولاً لابن عون ردّده بأشكال مختلفة (٤) . وإذا اعتبرنا أن أقاويل يونس بن عبيد ومرحوم بن عبد العزيز لم تكن مجرد ترديد لاحق له فقط ، فإنه يصبح من المحتمل أن نرى بعض الوقائع مستترة خلف هذه الأقوال . إلا أنه يجب علينا ألاّ نتمادى في تصديق كل ذلك . فمما لا شك فيه قبل كل

---

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٨٥

(٢) قارن فيما يتعلق بالاثنين « تهذيب التهذيب » ج ٦ ص ٣٦١

(٣) الآجري ص ٢٤١ س ١٢ ومابعده .

(٤) يصعب التأكد من أصالة الرواية لأن كل واحد من الرواة كان له موقف مختلف منها . فعبد الله بن مسلم ينقلها بشيء من الريبة إذ يقول « زعم ابن عون » وحماد بن يزيد يضيف إليها ملاحظة تنمّ عن عدم الرضى . ومن جهة اخرى فإن ابن عون قد عُرف بدعايته ضد معبد . فقد كان يزعم أن أبا السوار قد ابتعد عن معبد وقد كان أبو السوار (حسان بن حريث العدوي البصري توفي بعد عام ٦٩٩/٨٠ قارن « الطبقات » لخليفة بن خياط ص ٤٨٢ رقم ١٦٣٢ و « الطبقات » لابن سعد ج ٧ ، ١ ص ١١٠) شخصاً معروفاً في أيامه على ما يظهر (قارن « تاريخ دمشق ») فلو قصد التزوير لكان وقع الاختيار على شخص لم يعش في زمن بعيد عن زمن معبد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء أنه لا ابن عون ولا يونس بن عبيد قد عرقا بتجردهما . فهما من ألد خصوم عمرو بن عبيد [١] ومن الجبريين المتمسكين بعقيدتهم . وهما يحاولان تفسير تعاليم الحسن البصري حسب معتقدهما ، فيسكتان عن التزام الحسن بالقدرية ، هذا الالتزام الذي لم يتأخر زمنياً عن التزام معبد . يضاف إلى ذلك أنه كان يفصل بينهما وبين معبد زمن طويل . أما إذا كانا يعتمدان على خبرتهما الشخصية فيجب ألا نأخذ كلامهما على حرفيته . لقد توفي ابن عون بعد مقتل معبد بأقل من سبعين سنة تقريباً . ويقال إنه ولد قبل طاعون البصرة بثلاثة أعوام[٢] (الطاعون الجارف) ، أي بين عامي ٦٢ و ٦٦ [٣] . أما يونس بن عبيد فقد توفي قبل ذلك بقليل ،

---

(١) قارن دراستي Trad . Polemik ص ٣٩ وما بعدها والمصادر التي اشرت إليها هناك .

(٢) قارن ابن سعد « الطبقات » ج ٧ ، ٢ ص ٢٥ س ٣ وما يليه .

(٣) إن وباء طاعون يحمل نفس هذا الاسم قد ورد ذكره في سنوات مختلفة : في سنة ٦٥ و ٦٧ و ٦٩ (قارن Caetani ,Chronographie ص ٧٣٥ و ٧٨٤ و ٨٠٩) . اما الطبري (ج ٢ ص ٥٧٩ س ١٨ وما بعده) وقسم من الروايات التي ربما تكون قد حذت حذوه (قارن مثلاً ابن تغري بردي ج ١ ص ١٩٩ س ١١) فقد اعتمدت أقدم التواريخ مرجعاً . وهذا التاريخ تعتبره المصادر غير الاسلامية مرجعها ايضاً . ومع ذلك فإن مؤلفاً قديماً كخليفة بن خياط يحدد حصول هذا الحدث بعام ٦٩ / ٦٨٩ (قارن تاريخه ج ١ ص ٣٣١ س ١٢) كذلك يحدده أبو اليقظان بالعام نفسه =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا أنه كان أكبر من ابن عون بسنة واحدة فقط [١] .

وبعد ، فلا بد لنا من الاقرار بوجود بعض الاضطرابات في الروايات المتأخرة . لذا فعلينا أن نطيل الوقوف عندها بعض الشيء :

— للبحث صلة في العدد التالي — **يوسف فان اس**

= (توفي عام ٨٠٦/١٩٠ ، قارن GAS ١٦٦/١ والتي تليها) كما ورد عند الذهبي « تاريـــخ الاسلام » ج ٣ ص ٣٤٣ . ويظهر أن الوباء قد جرى على موجات متعددة . ولقد عمد المؤرخـون إلى تحديده تاريخياً بالاستناد إلى بدء تفشيه او إلى زواله .

(١) قارن « تهذيب التهذيب » ج ١١ ص ٤٤٥ س ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net